

تفسير ابن كثير

وهذا برهان ثان لموسى عليه السلام وهو أن اﷻ أمره أن يدخل يده في جيبه كما صرح به في الآية الأخرى وههنا عبر عن ذلك بقوله : { واضمم يدك إلى جناحك } وقال في مكان آخر { واضمم إليك جناحك من الرهب فذانك برهانان من ربك إلى فرعون وملئه } وقال مجاهد : { واضمم يدك إلى جناحك } كفك تحت عضدك وذلك أن موسى عليه السلام كان إذا أدخل يده في جيبه ثم أخرجها تخرج تتلأأ كأنها فلقة قمر وقوله : { تخرج بيضاء من غير سوء } أي من غير برص ولا أذى ومن غير شين قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقتادة والضحاك والسدي وغيرهم وقال الحسن البصري : أخرجها واﷻ كأنها مصباح فعلم موسى أنه قد لقي ربه D ولهذا قال تعالى : { لنريك من آياتنا الكبرى } وقال وهب : قال له ربه : ادنه فلم يزل يدنيه حتى أسند ظهره بجذع الشجرة فاستقر وذهبت عنه الرعدة وجمع يده في العما وخضع برأسه وعنقه .

وقوله : { اذهب إلى فرعون إنه طغى } أي اذهب إلى فرعون ملك مصر الذي خرجت فارا منه وهاربا فادعه إلى عبادة اﷻ وحده لا شريك له ومره فليحسن إلى بني إسرائيل ولا يعذبهم فإنه قد طغى وبغى وآثر الحياة الدنيا ونسي الرب الأعلى قال وهب بن منبه : قال اﷻ لموسى : انطلق برسالتى فإنك بسمعى وعينى وإن معك أيدي ونصري وإني قد ألبستك جنة من سلطاني لتستكمل بها القوة في أمري فأنت جند عظيم من جندي بعثتك إلى خلق ضعيف من خلقي بطر نعمتي وأمن مكري وغرته الدنيا عني حتى جحد حقي وأنكر ربوبيتي وزعم أنه لا يعرفني فإنني أقسم بعزتي لولا القدر الذي وضعت بيني وبين خلقي لبطشت به بطشة جبار يغضب لغضبه السموات والأرض والجبال والبحار فإن أمرت السماء حصيته وإن أمرت الأرض ابتلعته وإن أمرت الجبال دمرته وإن أمرت البحار غرقته ولكنه هان علي وسقط من عيني ووسعه حلمي واستغنيت بما عندي وحقي إني أنا الغني لاغني غيري فبلغه رسالتي وادعه إلى عبادتي وتوحيدي وإخلاصي وذكره أيامي وحذره نقمتي وبأسى وأخبره أنه لا يقوم شيء لغضبي وقل له فيما بين ذلك قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى وأخبره أنني إلى العفو والمغفرة أسرع مني إلى الغضب والعقوبة ولا يروعنك ما ألبسته من لباس الدنيا فإن ناصيته بيدي ليس ينطق ولا يطرف ولا يتنفس إلا بإذني وقل له أجب ربك فإنه واسع المغفرة وقد أمهلك أربعمائة سنة في كلها أنت مبارزه بالمحاربة تسبه وتمثل به وتصد عباده عن سبيله وهو يمطر عليك السماء وينبت لك الأرض لم تسقم ولم تهرم ولم تفتقر ولم تغلب ولو شاء اﷻ أن يعجل لك العقوبة لفعل ولكنه ذو أناة وحلم عظيم وجاهده بنفسك وأخيك وأنتما تحتسبان بجهاده فإنني لو شئت أن آتيه بجنود لا قبل له بها لفعلت ولكن ليعلم هذا العبد الضعيف الذي قد أعجبتة نفسه وجموعه أن الفئة

القليلة ولا قليل مني تغلب الفئة الكثيرة بإذني ولا تعجبينكما زينته ولا ما متع به ولا تمدا إلى ذلك أعينكما فإنها زهرة الحياة الدنيا وزينة المترفين ولو شئت أن أزينكما من الدنيا بزينه ليعلم فرعون حين نظر إليها أن قدرته تعجز عن مثل ما أوتيتما فعلت ولكني أرغب بكما عن ذلك وأزويه عنكما وكذلك أفعل بأوليائي وقديما ما جرت عاداتي في ذلك فإني لأدودهم عن نعيمها وزخارفها كما يدود الراعي الشفيق إبله عن مبارك العناء وما ذاك لهوانهم علي ولكن لستكملوا نصيبهم في دار كرامتي سالما موفرا لم تكلمه الدنيا واعلم أنه لا يتزين لي العباد بزينه هي أبلغ فيما عندي من الزهد في الدنيا فإنها زينة المتقين عليهم منها لباس يعرفون به من السكينة والخشوع وسيماهم في وجوههم من أثر السجود أولئك أوليائي حقا حقا فإذا لقيتهم فاخفض لهم جناحك وذل قلبك ولسانك واعلم أنه من أهان لي وليا أو أخافه فقد بارزني بالمحاربة وبادأني وعرض لي نفسه ودعاني إليها وأنا أسرع شيء إلى نصره أوليائي أفيطن الذي يحاربني أن يقوم لي أم يطن الذي يعاديني أن يعجزني أم يطن الذي يبارزني أن يسبقني أو يفوتني وكيف وأنا الثائر لهم في الدنيا والاخرة لا أكل نصرتهم إلى غيري رواه ابن أبي حاتم { قال رب اشرح لي صدري * ويسر لي أمري } هذا سؤال من موسى عليه السلام لربه D أن يشرح له صدره فيما بعثه به فإنه قد أمره بأمر عظيم وخطب جسيم بعثه إلى أعظم ملك على وجه الأرض إذ ذاك وأجبرهم وأشدهم كفرا وأكثرهم جنودا وأعمرهم ملكا وأطغاهم وأبلغهم تمردا بلغ من أمره أن ادعى أنه لا يعرف الله ولا يعلم لرعاياه إلها غيره هذا وقد مكث موسى في داره مدة وليدا عندهم في حجر فرعون على فراشه ثم قتل منهم نفسا فخافهم أن يقتلوه فهرب منهم هذه المدة بكمالها ثم بعد هذا بعثه ربه D إليهم نذيرا يدعوهم إلى الله D أن يعبدوه وحده لا شريك له ولهذا قال : { رب اشرح لي صدري * ويسر لي أمري } أي إن لم تكن أنت عوني ونصيري وعضدي وظهيري وإلا فلا طاقة لي بذلك { واحلل عقدة من لساني * يفقهوا قولي } وذلك لما كان أصابه من اللثغ حين عرض عليه التمرة والجمرة فأخذ الجمرة فوضعها على لسانه كما سيأتي بيانه وما سأل أن يزول ذلك بالكلية بل بحيث يزول العي ويحصل لهم فهم ما يريد منه وهو قدر الحاجة ولو سأل الجميع لزال ولكن الأنبياء لا يسألون إلا بحسب الحاجة ولهذا بقيت بقية قال الله تعالى إخبارا عن فرعون أنه قال : { أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين } أي يفصح بالكلام .

وقال الحسن البصري { واحلل عقدة من لساني } قال : حل عقدة واحدة ولو سأل أكثر من ذلك أعطي وقال ابن عباس : شكى موسى إلى ربه ما يتخوف من آل فرعون في القتل وعقدة لسانه فإنه كان في لسانه عقدة تمنعه من كثير من الكلام وسأل ربه أن يعينه بأخيه هارون يكون له رداءا ويتكلم عنه بكثير مما لا يفصح به لسانه فآتاه سؤاله فحل عقدة من لسانه وقال ابن أبي حاتم : ذكر عن عمرو بن عثمان حدثنا بقية عن أرطاة بن المنذر حدثني بعض أصحاب محمد بن

كعب عنه قال : أتاه ذو قرابة له : فقال له : ما بك بأس لولا أنك تلحن في كلامك ولست تعرب في قراءتك فقال القرطي : يا ابن أخي أألمت أفهمك إذا حدثتك ؟ قال : نعم قال : فإن موسى عليه السلام إنما سأل ربه أن يحل عقدة من لسانه كي يفقه بنو إسرائيل كلامه ولم يزد عليها هذا لفظه .

وقوله : { واجعل لي وزيراً من أهلي * هارون أخي } وهذا أيضاً سؤال من موسى عليه السلام في أمر خارجي عنه وهو مساعدة أخيه هارون له قال الثوري عن أبي سعيد عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال فنبئ هارون ساعته حين نبئ موسى عليهما السلام وقال ابن أبي حاتم : ذكر عن ابن نمير حدثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أنها خرجت فيما كانت تعتمر فنزلت ببعض الأعراب فسمعت رجلاً يقول : أي أخ كان في الدنيا أنفع لأخيه ؟ قالوا : لا ندري قال : أنا وإني أدري قالت : فقلت في نفسي في حلفه لا يستثني إنه ليعلم أي أخ كان في الدنيا أنفع لأخيه قال : موسى حين سأل لأخيه النبوة فقلت : صدق وإني قلت : وفي هذا قال إني تعالى في الثناء على موسى عليه السلام : { وكان عند إني وجيهاً } .

وقوله : { اشد به أزمي } قال مجاهد : طهري { وأشركه في أمري } أي في مشاورتي { كي نسبحك كثيراً * ونذكرك كثيراً } قال مجاهد : لا يكون العبد من الذاكرين إني كثيراً حتى يذكر إني قائماً وقاعداً ومضطجعاً وقوله : { إنك كنت بنا بصيراً } أي في اصطفاك لنا وإعطائك إيانا النبوة وبعثك لنا إلى عدوك فرعون فلك الحمد على ذلك